9

الإتصال والتنمية السياسية

2008

سلسلة إصدارات
التنمية السياسية
"قضايا ومفاهيم نظرية"

9

معهد البحرين للتنمية السياسية
Bahrain Institute for Political Development

سلسلة إصدارات التنمية السياسية

"الاتصال والتنمية السياسية"

-9-

د. عبد الغفار رشاد القصبي

الأفكار الواردة في هذا الإصدار تعبر عن آراء المؤلف

دون مسؤولية معهد البحرين للتنمية السياسية

قدمت هذه الورقة البحثية وصدرت تحت رقم "9"

السنة الأولى 2008

© معهد البحرين للتنمية السياسية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى 2008

توجه المراسلات البحثية إلى: معهد البحرين للتنمية السياسية

ص.ب. 38955

الرفاع – مملكة البحرين

هاتف: +973-17650172

فاكس: +973-17650134

بسم الله الرحمن الرحيم

نشأ معهد البحرين للتنمية السياسية بموجب المرسوم الملكي رقم (39) لسنة 2005م، ويعمل في إطار الأسس والمبادئ الدستورية والقانونية على دعم المسيرة الإصلاحية لجلالة الملك من خلال نشر الثقافة السياسية والقانونية وترسيخ مفاهيم المبادئ الديمقراطية السليمة لفئات الشعب المختلفة وتنمية الوعي السياسي بين المواطنين ودعم تجربة المجالس المحلية وترسيخ مبدأ المشروعية وسيادة القانون وله ممارسة كافة المهام والصلاحيات اللازمة لتحقيق أغراضه.

من هذا المنطلق يقوم المعهد بإصدار "سلسلة إصدارات التنمية السياسية" والتي تتناول التعريف بأهم قضايا ومفاهيم التنمية السياسية النظرية، وما يرتبط بها من حوار فكري وجدل نظري.

تصدر السلسلة بشكل غير دوري مؤقتاً، إلى أن تأخذ في الانتظام بطريقة دورية في شكل إصدار فصلي أو شهري.

ترحب السلسلة بمساهمات الكتاب والمفكرين من كافة التيارات والاتجاهات.

الفهرس

المقدمة ---------- 1

الفصل الأول ---------- 5

التأصيل النظري لمفهوم الأتصال ---------- 5

الأتصال الجماهيري ---------- 6

فاعلية الأتصال ---------- 14

وظائف الأتصال واختلاف النظم والفلسفة السياسية ---------- 15

تنوع الرؤى في دراسة وظائف الأتصال ---------- 17

البعد الثقافي والتنشئة والتوعية ---------- 23

الإعلان وموقعه من الوظيفة التنموية للأتصال ---------- 26

الأعتبارات والأسباب التي يستند إليها منتقدي الإعلانات ---------- 29

الفصل الثاني ---------- 33

دور الأتصال في التنمية السياسية ---------- 33

أولا: الإعلام ---------- 33

ثانيا: التكامل ---------- 35

ثالثا: التنشئة ---------- 37
تعدد أبعاد الوظيفة التنموية للاتصال ---------- 39
عوامل تعزز دور الاتصال التنموي ---------- 41
ضرورة تجنب مخاطر الاتصال ---------- 46
الدور المزدوج لوظائف الاتصال ---------- 48
دور الاتصال في خلق رأي عام وطني ---------- 52
عصر جديد ووظائف جديدة ---------- 56
الوظيفة التنموية للاتصال الرقمي ---------- 58
الخاتمة ---------- 63
شروط النشر والاشتراك في السلسلة ---------- 66

الاتصال والتنمية السياسية

عبد الغفار رشاد القصبي[1]

المقدمة

الثقافة السائدة، وطبيعة ودرجة الوعي السياسي في مجتمع ما ليست إلا محصلة لخبرة متراكمة نتيجة اتصال هذا المجتمع بالبيئة، وبالسياقات والمجتمعات الأخرى، وهذه الثقافة ذاتها تحدد طريقة رؤية الأفراد وإدراكهم للرسائل وللتفاعلات التي تتضمنها عمليات الاتصال التي يدخلون طرفًا فيها، وهكذا تبدو أهمية دراسة الاتصال بالمعنى الواسع للاتصال، بما يشمله من اتصالات مباشرة واتصالات جماهيرية، اتصالات في سياق اجتماعي أو تنظيمي أو دولي، اتصالات مقصودة ومحددة أو تلقائية عفوية. يقول أحد العلماء(روبرت أفيري R. Avery) إننا نعيش في عصر الاتصال، والسمة الأساسية لهذا العصر هو

---

(1) قام بالجهد الرئيس في هذا الإصدار د.عبد الغفار رشاد، وساعد في جمع المادة العلمية مجموعة من الباحثين، وقد تولي الإشراف والتنسيق بينهم د.عبد الغفار رشاد

تضاعف المعرفة الإنسانية كل خمس سنوات، وأصبحت المعرفة والمعلومات والأفكار تنتشر وتتوالى في موجات جارفة ومتتالية يصعب على الفرد تجنبها.

يصف كارل دويتش هذا الواقع وما يرتبط به من آثار سياسية بقوله: "لقد أصبح الناس في القرى البعيدة والمناطق النائية يشاهدون ويسمعون ما يحدث في كل مكان، ويكونون وجهات نظر وآراء خاصة بهم، ولم يعد في وسع الزعماء السياسيين أن يمارسوا السلطة بنفس الطريقة التي كانت تجرى من قبل"، ويخلص دويتش إلى "إننا نعيش في عالم جديد".

لم تعد هناك إمكانية لأي نظام لأن يعزل المجتمع ويمنعه من أن يتصل، بطريقة أو بأخرى، بالخارج. فعصر الاتصال قد حطم هذه العزلة نهائيًا، وأتاح الفرصة أمام أعداد هائلة من البشر، وقطاعات عريضة من المجتمعات الإنسانية لأن تتعارف ، وتلم بتجارب وخبرات ووقائع ونماذج وأدوار متنوعة، ومختلفة اختلافًا أساسيًا عن ما اعتادت عليه وألفته في حياتها وممارساتها.

إن المواطن في المجتمعات المعاصرة يتعرض اليوم وعلى نطاق واسع ومستمر لفقرات ومضامين وتعليقات لها طابع سياسي تحملها إليه مختلف قنوات الاتصال الجماهيري، ويكاد لا يمر يوم دون أن تظهر هذه المضامين السياسية في التليفزيون والصحف والمجلات وعلى موجات الإذاعة[1].

---

(1) يؤكد كلاً من كروس وديفيز هذه الظاهرة في المجتمع الأمريكي بوجه خاص حيث تطغى المناقشات السياسية والمسائل الحزبية والمناظرات واللقاءات السياسية والخطب التي يلقيها الزعماء، وأنشطة الكونجرس، كلها تطغى على وسائل الاتصال الجماهيري. انظر:

Sidney Kraus & Dennis Davis. *The Effects of Mass Communication on Political Behavior* (Pennsylvania: The Pennsylvania Univ. Press, 1980) P. 1.

انظر أيضا:

Robert K. Avery. Communication and the Media, in: Jean M. Civikly (ed.) *Contexts of Communication* (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1981) P. 227.

و انظر:

Karl W. Deutsch. Social Mobilization and Political Development in: J. Finkle & R. Gable (eds.) *Political Development and Social Change* (New York: John Wily & Sons, Inc., 1968) P. 205.

الفصل الأول

التأصيل النظري لمفهوم الاتصال

مفهوم الاتصال: الاتصال عملية أساسية في المجتمع، خصوصًا وأنه يتضمن تفاعلاً، بين طرفين هما: المرسل والمستقبل في إطار بيئة اجتماعية معينة، وهذا التفاعل يجعل من غير الممكن فهم جانب واحد من جوانب تلك العملية بمعزل عن الجوانب الأخرى من جهة، ويؤكد على الطبيعة الديناميكية للاتصال من جهة ثانية، كما أن هذا التفاعل والمشاركة بين المرسل والمستقبل يميز مفهوم الاتصال عن مفهوم الإعلام ويجعل المفهوم الأخير قاصرًا عن التعبير عن العملية الاتصالية. لأنه يكون غالبًا ذو اتجاه واحد، ولا يتوافر في العادة لأفراد الجمهور إمكانية توصيل آرائه أو تساؤلاته أو استفساراته إلى المرسل إذا ما أراد ذلك.

الاتصال الجماهيري

يأخذ الاتصال أشكالاً متعددة، فقد يكون اتصال بين الفرد ونفسه، أو بين الفرد والآخرين كما قد يجرى الاتصال بين جماعات مختلفة.

والاتصال بين الفرد ونفسه يعنى إدراك الفرد لذاته، وقدراته وإمكانياته ولعلاقاته بالبيئة الخارجية المحيطة به، ووعيه الذي يستطيع من خلاله العمل على تكييف إدراكه وإعادة تشكيل قدراته وعلاقاته بالعالم الخارجي. ويؤدي تعلم الفرد وتوالي الأحداث والخبرات والتجارب التي يمر بها إلى تغير في إدراكه لذاته وللعالم المحيط به، بل وقد يدرك الفرد الموقف ذاته بمعاني متباينة وهو ما يعنى صعوبة التنبؤ بسلوك الفرد على أساس تحديد طبيعة الموقف المثير.

وإدراك الفرد لذاته يرتبط بإدراكه للآخرين، ومن ثم فإن اتصاله بالآخرين يتحدد من خلال هذا الإدراك للذات، كما يتحدد

من خلال السياق الاجتماعي والثقافي القائم، وما يؤديه الفرد من أدوار اجتماعية، ونماذج سلوكية في جماعته.

وعملية الاتصال قد تتضمن جمهورًا ضخمًا، متنوعًا، كما هو الحال في عمليات الاتصال الحديثة وما يرتبط بها من وسائل، كالإذاعة والتليفزيون والصحافة ـ ناهيك عن الإنترنت ، والتي لم تتناولها أدبيات الاتصال الجماهيري على نحو نظامي بعد ـ فجمهور المستقبلين هنا يتميز بخصائص من أهمها الحجم الكبير والتشتت لجمهور متنوع بطبيعته وهو جمهور عام غير محدد أفراده مسبقاً:

هناك إذن الحجم الهائل، فالمستقبل ليس شخص أو عدة أشخاص، أو حتى آلاف الأشخاص، وإنما جمهور حاشد قوامه ملايين من المستمعين والمشاهدين والقراء، والذي لا يمكن للمرسل أن يبلغ رسالته إليهم من خلال الاتصال المباشر وجهًا لوجه.

ثم هناك التشتت والتنوع , فالجمهور ليس مجموعة محددة بوضوح , أو مركزة في قاعة أو ساحة أو تجمع سكنى واحد , وإنما هو جمهور متنوع يضم نوعيات شتى من الأفراد، من كل طبقة وعمر ومهنة، ومن الجنسين، وفى كل بقعة أو منطقة أو فئة تصلها الوسيلة التي تحمل الرسالة ، سواء كانت موجات إذاعية أو تليفزيونية تصل إلى أرجاء واسعة، ومناطق مترامية ، أو صحف ومجلات ومطبوعات وأفلام تنتقل من مكان إلى آخر في سرعة متزايدة.

وهو جمهور عام، لا يعرف المرسل أحدًا من أفراده على وجه التحديد، فالبث الإذاعي والتليفزيوني على الهواء غير محدد الجمهور، والمرسل لا يدرى هل وصلته الرسالة ومن هم الذين تسلموها، صحيح قد تجرى استقصاءات واستطلاعات لرأي جمهور المشاهدين والمستمعين والقراء، لكن أفراده يظلون مجهولين الأسماء، وذلك على عكس الاتصالات الشخصية التي تحدد فيها الأسماء وأماكن الإقامة، أو التي يعرف فيها الكثيرين بعضهم بعضًا من مستقبلين ومرسلين.

يقصد بالاتصال الجماهيري أساساً الاتصال عبر الصحافة والتلفزيون والإذاعة والمجلات، أو ما يعرف بوسائل الإعلام عادة.

ويمكن في إيجاز أن نحدد ستة خصائص أو سمات رئيسية للاتصال الجماهيري تميزه عن الأشكال المختلفة الأخرى للاتصال:

1- أن المرسل لا تتوافر له الإمكانيات أو الفرص المتاحة التي تُمكنه من التفاعل وجهًا لوجه مع جمهوره، وذلك لأن أداة الاتصال قد تكون مطبوعة، أو إلكترونية.

2- أن تنظيم الاتصال الجماهيري أكثر تعقيدًا بكثير عن نظم الاتصال الأخرى، ويتطلب مؤسسات معقدة، رسمية، وتخصص مهني، للحفاظ على عمليات ووظائف هذه المؤسسات وتطويرها، إن ما يصل المستقبل من برامج تليفزيونية ناجحة يقف خلفه تنظيم على درجة عالية من التعقيد. وبناء هذا التنظيم - وتشييد محطة إذاعة أو تليفزيون على سبيل المثال - يفرض استثمار رءوس أموال ضخمة، وتمثل المحطة سلطة لصنع القرار يتم وضعها في أيدي جهة التمويل - الحكومة أو شركات

أو مؤسسات للإعلانات .. الخ - وهذه السلطة لا تقوم في فراغ، بل تجرى ممارستها في إطار ضغوط متشابكة من مختلف القوى والأطراف المؤثرة في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والفنية والاقتصادية، مما يشير إلى بعد إضافي في تعقيد هذه العملية.

3- أن الاتصال الجماهيري يرتبط بصفة أولية بانسياب الرسائل في اتجاه واحد - أساسًا من المرسل إلى المستقبل - وذلك مع فرص وإمكانيات متاحة للتغذية المرتدة في الاتجاه المضاد - من المستقبل إلى المرسل - لكن هذه الفرص والإمكانيات تُعد محدودة للغاية، وبطيئة، وتتسم بالضعف والفتور والتأخر من الناحية الزمنية إذا ما قورنت بالانسياب المتتابع في الاتجاه الأول أي من المرسل إلى المستقبل.

4- تجعل وسائل الاتصال الجماهيري الرسائل التي تنقلها متاحة لعامة الأفراد، كما تنشرها على نطاق واسع بطريقة مشابهة إلى حد كبير للطريقة التي يتم بها توزيع السلع ذات الإنتاج الجماهيري بكمياتها الهائلة والتي تنتجها المصانع الحديثة.

5- الجمهور متنوع، مشتت أو موزع عبر مسافات شاسعة، ومتباين، فتحت هذا العنوان الكبير "جمهور الاتصال الجماهيري" تندرج فئات خاصة شتى تتكون كل منها من أفراد يشاركون في مصالح أو توجهات مشتركة، وقد تتجه الرسالة إلى إحدى هذه الفئات دون غيرها. على سبيل المثال برنامج للموسيقى الكلاسيكية أو حلقات تليفزيونية خاصة بالزراعة أو الصيد أو كرة القدم أو السباحة أو مرض السكر أو كبار السن. وقد يستقبل الرسائل في هذه الحالات أفراد من فئات أخرى لجمهور لا ينتمي إلى الفئة المقصود توصيل الرسالة لها.

6- أن الاتصال الجماهيري قادر على إنتاج رسائل وتوصيلها لأناس كثيرين في أجزاء متباعدة وفى الحال، بل وتوصيل رسائل مختلفة لفئات متنوعة من الجمهور في تزامن واحد - موجات إذاعية أو تليفزيونية للإرسال لمناطق جغرافية متنوعة في ذات اللحظة - وبالطبع فإن وسائل الاتصال الإلكترونية - كالإذاعة والتليفزيون - أكثر نجاحًا في تحقيق هذه النتائج من الوسائل المطبوعة، لأن الرسائل تذاع وتنتشر عبر الوسائل الإلكترونية، ثم سرعان ما تتلاشى الرسائل وتزول، ومن ثم فإنها تفرض على أفراد الجمهور أن يتلقوا الرسالة في

الحال. أما الوسائل المطبوعة - الصحف والمجلات والكتب - فهي دائمة يقرأها الفرد في أوقات مختلفة، ويعود إليها ثانية بما يتلاءم والقارئ ، وتقدم الإنترنت فرص حقيقية للجمهور للتجاوب مع الرسائل في شكل تفاعل فوري.

من هنا يمكن القول بأن وسائل الاتصال الإلكترونية لها التفوق في إمداد الجمهور بالمعلومات والأنباء في الحال فورًا، وفورًا وفى تزامن واحد ، إمداد أنواع من الجمهور منفصلة عن بعضها البعض وعلى نطاق واسع، بينما وسائل الاتصال المطبوعة لها التفوق في تقديم الرسائل التي تتميز بأنها من ناحية ثابتة أو دائمة، ومن ناحية أخرى قادرة على أن تصل إلى المستقبل بما يلائمه.

الاتصال على مرحلتين: يعتقد لوشيان باى[1] أن نظم الاتصال الحديثة تتضمن مرحلتين أو مستويين:

1. اتصال جماهيري غير مباشر عبر وسائل الاتصال المطبوعة والإلكترونية .
2. اتصال مباشر وجهاً لوجه عبر قادة الرأي.

ويعتقد باي أن الاتصال السياسي على وجه التحديد نادرًا ما يعتمد على عمليات الاتصال الجماهيري وحدها، وأن ما يحدث غالبًا هو تفاعل القائمين على الاتصال في مستوييه: الجماهيري بما يضمه هذا المستوى من أصحاب تخصصات مهنية وفنية، ومن محترفي العمل الإعلامي، والشخصي بما يمثله من شخصيات تسيطر على المراكز المؤثرة في شبكة الاتصالات، وفى قنوات الاتصال وجهًا لوجه.

---

(1) يعد لوشيا باي Lucian Pye أحد أهم علماء التنمية السياسية الذين ساهموا في الأدبيات حول دور الاتصال في التنمية السياسية.

وقد أدى التقدم التكنولوجي والاختراعات المتزايدة والتطور الذي طرأ على عمليات الإدارة والتوزيع إلى ظهور مراكز قوى جديدة لها خطورتها داخل المجتمع، ومواضع حساسة تصبو كافة القوى، وأحيانًا الاحتكارات، إلى السيطرة عليها تحقيقًا لأهدافها.

فاعلية الاتصال

فاعلية الاتصال ليست مسئولية جانب الإرسال فقط، بل تحددها في الواقع العلاقة بين جانبي الإرسال والاستقبال، وهكذا تفرض دراسة الفاعلية تناول مفهوم ومبادئ ومتطلبات ونسبية "الفاعلية" ثم التركيز على جانبي:

1- الإرسال وبوجه خاص "مصداقية المصدر".
2- الاستقبال وعلى وجه التحديد "تحليل الجمهور".

ورغم ذلك فإن تحليل ودراسة الفاعلية لا نخلو من طبيعة تحكمية، ذلك أن متطلبات ومبادئ فاعلية الاتصال، ودراسة تأثير

الاتصال على جمهور المستقبلين، وكفاءة القائمين على الاتصال، ومصداقية المصدر ورضا الجمهور كلها جوانب تخضع لتقديرات الباحثين واهتماماتهم، وتمثل حلقات متشابكة ومتداخلة، ومن ثم فإن عزل كل منها عن الأخرى يُعد تبسيطًا هدفه إتاحة الإمكانيات للدراسة والفهم، وهذا التبسيط في ذاته قد يتضمن مبالغة، أو تجاهلاً لواقع هذه الجوانب كما تشدها عملية الاتصال في الواقع العملي. مما يضيف بعدًا آخر للطابع التعسفي لدراسة الفاعلية.

وظائف الاتصال واختلاف النظم والفلسفة السياسية.

تتفاوت مهمة وفاعلية وسائل الاتصال بتفاوت واختلاف التعلم والفلسفات، فوسائل الاتصال الجماهيرية قد يكون هدفها الوصول إلى أكبر عدد من أفراد الجمهور بهدف تحقيق أقصى ربح ممكن، كما هو الحال وفق الفلسفة الرأسمالية، وقد يصبح هدفها التوجيه والإعداد الكامل لمواطن الغد بكل ما تعنيه عمليات التوجيه والإعداد من أدوار في التنشئة والإعلام والتثقيف

والإرشاد والإقناع كما هو الحال وفق الفلسفة الاشتراكية، والاتصال قد يكون مجالاً خصبًا لعمليات للإعلان والدعاية والتسويق والحرب النفسية وترويج الشائعات، كما قد يكون أداة لتحقيق تكامل الدولة، وترابط وحداتها، وتقريب الفجوة بين حكامها وجماهيرها وحصولها على الأفكار والنظم والمبتكرات والتكنولوجيا المتطورة، ونشر المعايير والنماذج العقلانية بين عناصر وقطاعات ومؤسسات المجتمع، وتكريس ودعم القيم العصرية في عملية التعليم، وتقوية عمليات الحراك الاجتماعي والمادي، أي بين طبقات وشرائح ومناطق وأجزاء الدولة المختلفة، وإيجاد نوع من الوحدة والتشابه بدلاً من التفكك والتباين والانقسام.

لكن الاتصال قد يصبح تعبيرًا أمنيًا عن روح الأمة وثقافتها وضميرها الحي، وقد يعبر عن علاقة من نوع خاص بين القيادة الكاريزمية وجماهير الشعب، بحيث تتضاءل المسافة التي تفصل بين الحاكم والمحكومين، على الأقل من وجهة نظر هؤلاء المحكومين، ووسائل الاتصال الحديثة قد تتيح أمام أفراد الجماهير القنوات المعبرة عن أمانيهم في حرية، وتسهم في خلق مناخ من

المناقشات والحوار الخلاق بين وجهات النظر المتعارضة، وتسهم بالتالي في تحقيق الروابط وبناء الجسور، وتحقيق الحلول الوسط التي ترضي كافة الأطراف، وتكفل لكل طرف الحد الأدنى من المطالب بما لا يتعارض مع الأطراف الأخرى، والاتصال أيضًا قد يقضي على عوامل العزلة والانطواء والتقوقع، فيحطم تلك الأسوار التي طالما تحصن بداخلها أفراد أو جماعات أو طوائف، ويتيح آفاق جديدة أمام التكامل والتماسك داخل المجتمعات الحديثة.

يبدو صحيحًا أن الاتصال لا يستطيع تحقيق كل ذلك بمفرده، فهناك عوامل وعناصر أخرى اقتصادية واجتماعية وثقافية ونفسية، لكن الثابت أن الاتصال يستطيع أن يكون عاملاً فعالاً في إطار هذه العوامل الأخرى، ويقوى من تأثيرها في طريق التكامل بمعناه الواسع.

تنوع الرؤى في دراسة وظائف الاتصال

يمكن التمييز بين اتجاهين رئيسيين في دراسة وظائف الاتصال:

أولهما: اتجاه يؤيد أهمية الاتصال وما يؤيده من عمليات ومهام كبرى في المجتمع المعاصر، ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه على الجانب الإيجابي من الوظائف التي يؤديها الاتصال.

ثانيهما: اتجاه ينتقد دور الاتصال في المجتمع الحديث، وذلك في إطار التركيز على الجوانب السلبية أو غير المقبولة من الوظائف، كمخاطر العنف ومشاهدة الأطفال والشباب لها في برامج أو شبكات مثلا لفترات طويلة، وما تتيحه وسائل الاتصال الحديثة من إمكانيات للتضليل والدعاية والإكراه المعنوي وطغيان وإغراق المادة الاتصالية بشكل مخطط ومدروس لتحقيق أهداف أنانية للجهة المسيطرة على وسائل الاتصال، سواء كانت دولة أو قوة مسيطرة محلية أو أجنبية.

ويؤيد الاتجاه الأول عدد كبير من العلماء ممن قدموا بعض الدراسات الرائدة في بحث وظائف الاتصال، من أهمها أعمال هارولد لاسويل، وكذلك شارلز رايت CHARLES WRIGHT وولبور شرام وموريس جانوفيتز MORRIS HANOWITZ وغيرهم.

وفق هذا الاتجاه يمكن تحديد وظائف رئيسية للاتصال كالأخبار السياسية والترفية والإعلانات فضلا عن دور الاتصال الجماهيري في التنمية السياسية ، من خلال وظائف عديدة في مقدمتها الإعلام والتنشئة والتكامل الوطني للمجتمع والدولة.

المضمون السياسي ووظائف الاتصال:

فقد بدأت الصحافة وشبكات التلفزيون في التحول عن النمط التقليدي في تغطية الأخبار السياسية - أي تغطية المجالات التقليدية مثل الشئون الدولية وسياسات الحكومة والهيئة التشريعية... - لتبرز تغطيات أخرى - لمجالات وموضوعات جديدة مثل التكنولوجيا والحاسبات وأوقات الفراغ وقضايا المستهلكين، والصحة والطب والسلامة، والمنزل وشئون الأسرة والمعاملات، وقضايا المرأة وغيرها ... - كما برزت القضايا المحلية في التغطيات الجديدة، وانتشرت برامج للترفيه - من أمثال الكاميرا الخفية وكمائن اللقاءات الصحفية ولقطات الفيديو المثيرة - مع تراجع الأخبار السياسية.

يصف البعض هذا التحول باسم "سياسات الإعلام الحديثة"، التي لم تعد كأية بالأنشطة المملة التي تقوم بها الإدارات والبرلمان بأجهزته - بعد أن كانت تشكل جوهر ومضمون الروايات الخبرية - وإنما أضحت تركز على الشئون الخاصة المتعلقة بالقراء والمشاهدين، وتتراوح من الأبوة والأمومة إلى قضايا الإدمان والمسابقات الرياضية. كما تحول عمل الصحفي من عمل مهني احترافي له تدرجه الهيراركي، على العمل في شكل "فرق من الكتاب" تنسق أنشطتها مع المصممين وفناني الرسوم والتصميمات والجرافك، بما يتوافق مع إستراتيجية التسويق التي تم تبنيها.

صحيح أن الصحف والشبكات ما تزال تغطي الأخبار السياسية، لكنها تميل في أحيان كثيرة إلي أن تصبح تغطية سطحية والمساحة المخصصة لها أصبحت محدودة، والزمن أقصر عن ذي قبل في المجتمعات الديمقراطية، واتجهت كثير من الشبكات العالمية - خصوصًا في الولايات المتحدة - إلى تقديم مساحة أكبر ووقت أطول للترفيه، وكان ذلك على حساب الأخبار الجادة التي استبدلت في حالات كثيرة ببرامج وفقرات

محببة للمشاهدين، ضممت لاجتذاب المزيد منهم،بل وأوقف إنتاج البرامج الوثائقية عن الشأن العام، وأغلقت كثير من المكاتب في الدول الأجنبية، وتم تقليص أعداد العاملين في تغطية الأخبار.

لكن الأمل قائم في تصحيح هذه الاختلالات، ويؤكد هذا الأمل بروز التزام جديد من قبل الصحفيين بصحابة التحقيقات والتحليلات التي تستند على أساس من البيانات، وتزايد القنوات الإخبارية المخصصة للأنباء دون غيرها، وتصحيح ما يرتبط بسلبيات الإعلانات السياسية.

هذا الأمل لا يتعارض مع بروز أولويات جديدة، وتراجع أولوية تقليدية طالما منحت للأخبار سابقًا، حيث التغطية المستمرة والمنتظمة لأخبار السياسة والحكم، فهذه الأولوية التقليدية تراجعت لدى الجمهور، ولم يكن ممكنًا تجاهل هذا التراجع لدى الجمهور. لكن مرة أخرى فإن الصحافة الخفيفة لن تستطيع تلبية مزاج الجمهور، والذي يتميز بتغيرات واضحة وسريعة، حيث تبرز ميول نحو صحافة تلتزم بتغطية موضوعية جادة لأخبار السياسة والحكم، ولا مناص من احترام القرار

والمشاهدين، وتتوافر مؤشرات تؤكد أن عدد لا بأس به من مؤسسات الأخبار ترى أنه لا بديل أمامها في المستقبل إلا في تلك التغطية الجادة.

وتمثل التسلية أو الترفيه هدفًا رئيسيًا للتليفزيون يطغى أحيانًا على ما عداه من أهداف، لذا يلاحظ أن ما يقدمه التليفزيون من مسابقات ومباريات قد أصبح يمثل نسبة كبرى على خريطة توزيع البرامج والفقرات، وتشير استطلاعات الرأي لجمهور المشاهدين أن هذه المسابقات وغيرها من فقرات التسلية تحظى بتفضيل الجمهور، بل ويطلب العديد من مشاهدي التليفزيون المزيد منها ،وأصبحت الإنترنت بما تتيحه من إمكانيات للتفاعل والاتصال السريع ترسم آفاقاً جديدة أمام العالم اليوم.

وقد أكد هارولد مندلسون أهمية وظيفة التسلية، بل وجعلها على نفس مستوى أهمية وظيفة التنشئة ، والتوعية ، وذلك لأن الأفراد رغم اختلاف الشرائح الاجتماعية والمراكز التي يشغلونها، تجمعهم للتسلية تجربة مشتركة، الأمر الذي يسهم في خلق مناخ

وواقع لا يتحقق إذا كانوا فرادي، وييسر لدى الجمهور التحرر من الكبت والتوتر وضغط وهموم الحياة اليومية.

البعد الثقافي والتنشئة والتوعية

تثور هنا أهمية دور رجل الاتصال في نقل المعلومات والوقائع والأحداث، وما يرتبط بذلك من علاقات ترابط وثيقة بين المصادر الثلاث: المعلومات والمعاني المشتركة والثقافة فيما بينها.

والأحداث والوقائع لها أهميتها، لكن طريقة تغطيتها ونقلها للجمهور يخضع للصحفي، أو الخبير الذي ينقل المعلومات، من هنا أهمية المعلومات البالغة في عملية تكوين ونضج الرأي العام.

والمعلومات تستند في أهميتها إلى صحتها وحيادها أو موضوعيتها، فكثيرًا ما يخضع نقل المعلومات للمناورة، أو الاعتبارات تبعدها عن الحياد والموضوعية، فيجري تضخيم

حدث تافه أو تقليص الاهتمام بحدث على قدر من الأهمية، والموضوعية ممكنة في الواقع في ضوء تطور وانتشار النظرة العلمية الحديثة التي ميزت الحضارة الإنسانية.

وتبرز كذلك أهمية عملية الاتصال والتفاهم المتبادل، والحوار وتطوير لغة ورموز مشتركة لهذا الحوار والتفاهم ليس فقط بين الصحفي والجمهور، أو بين النخبة والمجتمع، بل بين المجتمعات والحضارات، رغم حواجز وعوائق قد تكون فكرية أو ثقافية أو عرقية أو أيديولوجية أو جغرافية.كذلك تبرز أهمية قيم ونماذج سلوكية معينة لعل في مقدمتها المنافسة والعمل السلمي، بمعنى نبذ العنف في العلاقات مع الآخر، وقبوله، وفق أسس من المنافسة الشريفة وتكافؤ الفرص،مبدأ الدستور/ واعتبار الانتخابات أداة الوصول إلى السلطة وفق موافقة الهيئة الناخبة عبر انتخابات دورية حرة وتتسم بالنزاهة وفق المعايير المتعارف عليها دوليًا. كما ترتبط الدستورية بسيادة القانون دون تفرقة بين المواطنين، والبعد الثقافي يتضمن عناصر عديدة، من تنشئة وتوعية وإعداد، الشفافية وحرية تدفق المعلومات ومكافحة الفساد جذريًا دون هوادة، وإرساء دولة العدل والحرية، احترام

كرامة الإنسان وحقوقه السياسية والحريات المدنية باعتبارها القاعدة الأساسية، أو المدخل الرئيسي لأي تحول ديمقراطي حقيقي، كحرية التعبير والانتظام في جماعات أو تنظيمات تؤمن بالمنطق الديمقراطي وحق الإنسان في الحياة وفي الأمن وأن يحيا بعيدًا عن عوامل التعذيب أو تهديد حياته وكل ما يتعلق بوجوده, بعبارة أخري أهمية قبول "منطق الممارسة الديمقراطية" وهو منطق جوهري في استمرارية عملية التحول.

ويؤكد لوشيان باى خطورة عملية الاتصال ـ خلال مناقشته لوظائف الاتصال ـ حتى بالرغم مما يرتبط بالاتصال من مظاهر سلبية. فالاتصال في رأيه قد يؤدي إلى تمزق وانهيار أساليب وأفكار وممارسات قديمة لتحل محلها أخرى جديدة، أو تكييف هذه الأشياء القديمة لتأخذ شكلاً جديدًا، والاتصال في رأيه وسيلة رئيسية لاستقبال هذه الأساليب والممارسات الجديدة، والتي هي انعكاس للمجتمع الصناعي الحضري الذي تتخلله علاقات إنسانية أقرب إلى العلمانية منها إلى الاعتبارات الدينية ، وإلى العقلانية والمساواة، منها إلى الخرافات والمراتب المتسلسلة الجامدة، وهذا يوفر للعملية السياسية أساسًا لا غنى للعقلانية، ولما

يسميه باى" قواعد السببية السياسية "، فالشعب لا يمكنه أن يناقش البدائل المطروحة بشأن المسائل المثارة ما لم يتوافر لديه المعرفة والدراية، وقدر من المساواة، وتكافؤ الفرص ، والإلمام بالأخبار والمعلومات بقواعد الحركة السياسية.

الإعلان وموقعه من الوظيفة التنموية للاتصال.

يركز عدد من العلماء على وظائف معينة للاتصال ومن أمثلة ذلك:

1- شارلز رايت الذي يفترض أن وظيفة "الترفيه أو التسلية أو الإمتاع" تُعد وظيفة أولية للاتصال الجماهيري، بل وقد تعتبر في بعض الأحيان الوظيفة الأساسية

2- ولبور شرام الذي يؤكد أهمية وظيفة الاتصال الجماهيري كأداة للإعلان والتسويق للمنتجات المختلفة، كما يؤكد الدور الذي تقوم به وسائل الاتصال في عمليات التنمية وتطوير المجتمعات المختلفة.

يتفق شرام ، وجانوفيتز، وأيميرى واكين وغيرهم حول أهمية الإعلان كوظيفة رئيسية تقوم بها وسائل الاتصال، فوسائل الاتصال تصل إلى جماهير هائلة الحجم، متنوعة ومتفرقة، لكنها تبيع الحق في الوصول إلى هذه الجماهير، والتي تعتبر زبائن محتملة لاستهلاك السلع والخدمات المعلن عنها. وكلما تضخم حجم الجمهور، وتميزت نوعيته، كلما زادت أسعار الإعلانات، وزاد دخل وسائل الاتصال.

والإعلان تصاحبه جهود ومحاولات دائبة لدعم تأثيره، سواء من حيث الصياغة أو مكوناته، أو من حيث توقيت نقله إلى الجمهور. أو قطع مسلسل أو فقرة معينة لجذب انتباه الجمهور، وتنجح بعض الإعلانات نجاحًا واسعًا، فتصبح نغمة شائعة يرددها الكثيرون أو أغنية أو لازمة تتكرر في أحاديث الأفراد.

تختلف الآراء بشأن الإعلان، ويمكن التميز بين رأيين:

الرأي الأول: يؤيد وظيفة الإعلان التي تقوم بها وسائل الاتصال الجماهيرية، وفى مقدمة هؤلاء المؤيدين شرام الذي يرى أن الإعلان يسهم في دعم حرية وسلامة الاقتصاد ـ كما في الولايات المتحدة ـ وأن الإعلان يتيح فرصًا وتحديات أمام المشترين والبائعين لتداول السلع والخدمات، ويوسع من مجال الاختيار أمام المستهلك ويوفر له الوقت والمال، وبدون الإعلان وما يوفره من فائدة أساسية للتمويل سوف تختفي أغلب وسائل الاتصال في مجتمع كالمجتمع الأمريكي، أو تتحول إلى الاعتماد على الإعانات والهبات التي تمنحها وجودها ودماء حياتها. بمعنى آخر فإن الإعلان وسيلة لتجميع المنتجين والمستهلكين معًا، وبذلك أصبح جزءًا من نظام متقدم للغاية للتسويق، أصبحت تعتمد عليه كثير من الاقتصاديات المتقدمة، ولم يعد بوسعها الاستغناء عنه أو التغاضي عن دوره المؤثر في الحياة الاقتصادية. كما أن الإعلانات تقوم بدور في التسلية والترفيه عن المستقبل وإعلامه ببعض المعلومات والأنباء والمبتكرات.

أما الرأي الثاني: فيعارض وظيفة الإعلان باعتباره يمثل تكلفة غير ضرورية يتحمل عبئها الجمهور في النهاية، ويسبب إسرافًا وفاقدًا لا داعي له، حيث استخدمت الصحف اليومية وصحف الأحد - في الولايات المتحدة وحدها - ملايين الأطنان من أوراق الصحافة لتنفيذ الرسائل الإعلانية وحدها، وقفز حجم الإنفاق على الإعلانات ، فأصبح يأتي 70% من دخل الجريدة من الإعلانات ، وأصبحت الإعلانات تغطي نحو 70% من مساحة الجريدة اليومية في الولايات المتحدة .

الاعتبارات والأسباب التي يستند إليها منتقدي الإعلانات.

أ - أنها تقنع الجمهور بشراء سلع وخدمات ليس في مقدوره شراءها، بالإقناع وليس بالإكراه، أي تجعل الأفراد غير قادرين على ممارسة الضبط الذاتي، أو على التقدير والحكم السليم بالنسبة لسلوكهم الاستهلاكي.

ب - أنها تقنع الجمهور من خلال مخاطبة عواطفه أكثر من عقوله، وتخاطب الدوافع والحاجات وتتلاعب بالعواطف التي يصعب التحكم فيها.

ج - أنها متحيزة وتقنع الفرد بأنه فقط عندما يفعل أو يقول شيئًا معيناً فإنه يحقق تقدمًا للأمام.

د - تتناول ادعاءات متنافسة متصارعة مما يربك الفرد ويثير حيرته.

هـ- تقوم على تكرارات مفرطة في حدوثها وتواترها دون حد، فتغرق حياة الفرد.

و - تستخدم أحيانًا أساليب بعيدة عن الذوق السليم، وقد تتجاوز أية قيود أو قيم، وتتسم أحيانًا بأنها هابطة، مدمرة، مبالغة، بل وقد تثير أهواء الفرد وغرائزه.

قد يصبح الإعلان مثيرًا، ويحقق نتائج غير متوقعة، ويدلل واكين على إمكانية ذلك، خصوصًا عبر التليفزيون، من خلال مثال يضربه لشركة تنتج سائل تنظيف معبأ في زجاجات، نظمت حملة إعلانية تليفزيونية حول "من يعرفه" كلفتها 9 ملايين دولار، أدت

إلى أن قفز حجم مبيعات الشركة من مائة وخمسين ألف دولار إلى مائة مليون دولار في ثلاث سنوات فقط، ويؤكد توفلر في كتابه "صدمة المستقبل" خطورة وسائل الإعلام في تضخيم صور لزعامات وقيادات وشخصيات قد لا تكون جديرة بالاهتمام، أو في تجاهل زعامات لها دورها التاريخي، مما يثير قضية استخدام الإعلانات السياسية، وقد يهدد ذلك ليس فقط حرية وسائل الاتصال وموضوعيتها، بل والحريات العامة في المجتمع وسلامة عملية التعبير السياسي.

الفصل الثاني

دور الأتصال في التنمية السياسية

كيف يحقق الأتصال أهداف التنمية السياسية.

من خلال ما تؤديه وسائل الاتصال من عمليات التنشئة والإعلام والتكامل تسهم بصورة مباشرة في تحقيق التنمية بمعناها الشامل، وتستطيع أن تقوم هذه الوسائل بتنظيم حملات اجتماعية وسياسية لدعم الأهداف التنموية التي تحظى بقبول المجتمع. ونتناول هذه العمليات الثلاث:

أولا. الإعلام.

وتتضمن هذه الوظيفة عملية نقل الأخبار بصورة تساعد على السيطرة على البيئة ومراقبتها والإشراف عليها، فالرسائل التي تنقلها وسيلة الاتصال تكون محملة بالمعلومات التي يهدف المرسل إلى توصيلها وإعلام المستقبل بها. ووجود الإنسان في بيئة ما يفرض عليه الإلمام بكثير من المعلومات حتى يمكنه

التعامل مع هذه البيئة بما يحفظ له حياته، وييسر له استغلال مواردها على نحو ملائم. وبغير المعلومات والأنباء والأفكار التي تصل إلى المرء لا يمكنه القيام بذلك، وتزداد أهمية الاتصال مع تضخم المعلومات وتعقيدها، ومع تزايد قدرة هذه الوسائل على توضيح وتحليل وشرح وتفسير المعلومات التي تنقلها وتبسيطها. فالصحافة والمجلات تنقل الأنباء والأخبار، وتسعى إلى تغطية الأحداث والتطورات، وتعطي في الوقت ذاته تحليلات وتفسيرات لها، والكتب تقوم بشرح وتفسير وتجميع المعلومات والحقائق في عمق وتركيز وتنظيم محدد، والأفلام، منها ما هو تسجيلي، أو تعليمي أو ترفيهي ، وللإذاعة والتليفزيون أيضًا إسهامها في نقل الأنباء والمعلومات وتفسيرها وتقديمها في شكل يسير مبسط للجمهور، وخلال ذلك التيار المستمر للأنباء التي تتناول الظواهر والحوادث المختلفة من حولنا.

فإن الاتصال يوفر خدمة لا تقدر للجنس البشرى، لأنه يحذر من الفيضانات، والزلازل، والكوارث الكبرى، والهجوم العسكري المعادي، والأوبئة، وأعمال الشغب المحتملة والعنف

السياسي ، كما ينقل صوراً حية لمعاناة البشر وانتهاكات حقوق الإنسان وحياته الأساسية وتجاوزات الحكام أو النظم والجماعات.

كذلك فإن تفسير الأنباء وتحليلها والتعليق عليها، وتكوين ومناقشة وجهات النظر البديلة بشأنها، والذي يقوم به عدد محدود من الكتاب والمعلقين والمفكرين، وتنشرها وسائل الاتصال الإلكترونية والمطبوعة، من شأنه أن يتيح الفرصة لأشخاص مؤهلين لأداء وظيفتهم في تشكيل الرأي العام، ويوفرون مشقة ومخاطر وجهود وأوقات وأموال طائلة يمكن تبديدها هباء، ولا يبقى في المجتمع سوى القليل فقط من المواطنين ممن يتمتعون بالمبادرة الذاتية والقدرة على مناقشة وطرح وجهات نظر جديدة لوضع الأحداث الهامة في سياقها السياسي والاجتماعي والتاريخي الحقيقي.

ثانيا: التكامل

فالاتصال من شأنه أن يسهل عملية تداول وانتشار نفس الأفكار والقيم والمعايير عبر أقاليم وفئات وطوائف وطبقات

المجتمع، وعبر فئات العمر والمهن والدخول. كما أن الاتصال هو أداة للربط بين جماعات المجتمع، وبين المجتمعات المختلفة وما تمثله من ثقافات ومؤسسات. والأنظمة المختلفة يمكن النظر إليها - على حد تعبير كاتز، كان D. Katz & R. Khan - باعتبارها شبكات من الاتصال، كما أن الاتصال بين الأفراد أو المجتمعات يمكن أن يقود إلى قيام جماعات أو أنظمة أو مجتمعات تختلف في درجة تماسكها وتكاملها باختلاف شكل وطبيعة روابط الاتصال التي تجمعها.

إن الجماعات تنشأ وتتطور بفضل الاتصال، وتدهور الاتصال أو غيابه قد يؤدي في النهاية إلى تفكك الجماعة الواحدة أو المجتمع الواحد، وتمزقه واندثاره. لذلك يشبه بعض الكتاب الاتصال "بالأسمنت" الذي يعمل على تماسك أجزاء الجماعة بقوة وفاعلية، كما يعمل الاتصال على انفتاح الجماعة على الجماعات الأخرى، ويتيح لها الفرصة للتعرف على طرق أخرى للحياة، ويحرر الجماعة من مخاطر العزلة والانكفاء على الذات والاغتراب والعدوانية، ومن مشاعر الخوف والحصار. كما أن الاتصال من شأنه أن يقلل ويلطف من حدة التعصب لجماعة من

الجماعات، ويتيح المجال أمام الجماعة لإقامة علاقات بناءة تستند إلى مبادئ الإنسانية والإخاء والحرية والعدالة والمساواة.

ثالثا. التنشئة

هنا يلعب الاتصال دورًا محوريًا في نقل التراث من جيل لآخر، مما يحمى الأفراد من التأثيرات المدمرة التي قد تهدد هويتهم القومية والخصوصية التي تميز مجتمعهم، والتي يمثلها هذا التراث، والاتصال يستطيع أو يزود الأفراد بالثقافة الرفيعة، وفى نشر الأفكار العقلانية، وإتاحة فرص التعليم لأعداد متزايدة، والارتفاع بمستواه.

للاتصال إذن مهمة مزدوجة: فمن ناحية يعمل على إحياء التراث ونقله في أمانة وصدق إلى الأجيال الجديدة، ويعمل على نشره أيضًا لدى مختلف الأجيال وتعميق الشعور به، لكن دون تعصب أو انغلاق، فلا تعيش الأمة في ماضيها البعيد، وإنما ماضيها هو الذي يعيش فيها. ومن ناحية أخرى يجلب الاتصال الأفكار الحديثة والرسائل والقيم المرتبطة بالعصر الحديث،

وبالمعارف والتكنولوجيا المتطورة، فيتحقق بذلك للمجتمع الجمع بين ماضيه المجيد الحي، وبين واقع عصري حديث يفرض الانتماء إلى الحضارة الإنسانية، وهى تخطو إلى الأمام في مطلع القرن الواحد والعشرين.

يؤكد تيودور بترسن، جى جنسن، ووليام ريفرز في تحليلهم لما تؤديه نظم الاتصال من توفير درجة من الضبط الاجتماعي، ومن استقرار المجتمع، وترسيخ وتطوير أدائه لعملياته في إطار القيم والمعتقدات السائدة، ومن ثم في خلق الانسجام في عملية التغير الاجتماعي والتطورات التي يشهدها المجتمع. إن الاتصال يصبح بمثابة "مفتاح للتغير الثقافي"، فتصبح وسائل الإعلام المطبوعة والإلكترونية وسائل ملائمة لنشر المعرفة على نطاق واسع داخل إقليم الدولة، وبدون الاتصال لا يصبح في مقدور أي مجتمع حديث أن يستمر على قيد الحياة، كما لا يمكن أن تكتمل "الوظائف الاجتماعية لوسائل الاتصال" ـ على حد تعبير هؤلاء الكتاب ـ إلا من خلال ما تقوم به هذه الوسائل من:

أ ـ رسم صورة ممثلة للمجتمع.

ب ـ توضيح المصالح العامة للمجتمع ككل.

ج - الوصول إلى الأنباء كاملة.

من هنا يتوقع أن يتصدر الاتصال - خصوصاً الصحفيين بالمعنى الذي يجمع بين الصحافة بمختلف أشكالها: المقروءة والمسموعة والمرئية ـ القوى المطالبة بالإصلاح والتحول الديمقراطي، وبحقوق الإنسان وبالحرية، وبالشفافية والمساءلة ومكافحة الفساد. وبإيجاز يصبح الاتصال الجماهيري بمثابة القاطرة التي تقود الأمة في طريق الإصلاح والديمقراطية، بما يتضمنه ذلك من نشر لقيم وسلوكيات ونماذج في الحياة السياسية والاجتماعية، وهو ما تفرضه أهداف وغايات التنمية السياسية.

تعدد أبعاد الوظيفة التنموية للاتصال

هنا يلزم أن تتكامل وتتضافر جهود وسائل الاتصال، في إطار يضمن التنسيق بينها ويقلل من احتمالات التداخل أو التكرار والتضارب، ويؤكد شرام على خطورة الدور الذي تقوم به هذه الوسائل مجتمعة في نشر الإعلام الخاص بالتنمية بمعناها العام،بما في ذلك التنمية السياسية ، وفى دعم برامج التنمية

القومية، وما تفرضه من تغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية، وعلى وجه التحديد يمكن للاتصال الإسهام فيما يلي:

1- خلق الشعور بالهوية القومية، وبالأمة الواحدة.

2- تعريف الجماهير بأهداف الخطة القومية وأدواتها والتعبير عن متطلباتها وإمكانياتها.

3- تعليم المهارات الضرورية في مختلف المجالات: ابتداء من القراءة والكتابة، إلي اكتساب مهارات فنية في الزراعة والصناعة، والخدمات وتكنولوجيا المعلومات.

4- خلق سوق واسعة ملائمة لتصريف المنتجات المختلفة من سلع وخدمات يأخذ إنتاجها في التزايد مع السير في خطوات التنمية.

5- تعبئة الجماهير وتمكينها من أن تلعب دورها في تنفيذ الخطة، ولكي تلعب الدولة دورها على المسرح العالمي.

ويؤكد لوشيان باى - ومعه زملائه وفى مقدمتهم سولا بول ، وادواردشلز ، ودانييل ليرنر - على أهمية الاتصال في عملية التنمية باعتبارها وسيلة يمكن للمجتمع من خلالها أن يتعلم

المهارات والأفكار والعلاقات والاتجاهات والنظم الجديد، ومع مجيء التكنولوجيا الجديدة يصبح على المجتمع أن يتحمل نفقات وتضحيات مقابل ذلك، هنا يبرز دور الاتصال في التقليل من حدة هذه النفقات والتضحيات، وفي دعم وخلق الاتجاهات والدوافع الأساسية لجعل المجتمع أكثر قدرة على المواءمة مع متطلبات العصر الحديث، وتقبلاً له.

عوامل تعزز دور الأتصال التنموي.

وفاعلية الاتصال ودوره في عملية التنمية تتحقق وتتعزز عندما يجد الأفراد في وسائل الاتصال ما يربط بينها وبين هويتهم وذاتهم، سواء كان ذلك في شكل علاقة مباشرة بين هؤلاء الأفراد، أو في علاقة غير مباشرة من خلال الاتصال الشخصي عبر قادة الرأي. وعملية الاتصال في المجتمع النامي تتسم عادة بالتشرذم والتقطع، بين الريف والحضر، أو بين النخبة والجماهير. فالقرى منعزلة ليس فقط عن الحضر، بل وعن بعضها البعض، ويصبح الاتصال الأداة الفعالة لخلق نموذج قومي من خلال التغلغل في كافة مناطق الدولة وتجمعاتها السكانية، فلا يتركز فحسب على المناطق والتجمعات الأكثر

حداثة، وهكذا يستطيع الاتصال أن يبادر في إنجاز مهام رئيسية للتنمية، بمعنى تغيير اتجاهات ونماذج قائمة، وخلق اتجاهات ونماذج ومطالب وأساليب جديدة مبتكرة، وربط الأفراد معًا بمشاعر جديدة للولاء والانتماء.

وكلما أسهم الاتصال في دفع عجلة التنمية للأمام، كلما أصبح نظام الاتصال ذاته في حاجة إلى تطوير، وتبدأ عملية الاتصال في التبلور باعتبارها مهنة لها أصولها ومفاهيمها ومعاييرها، لكن عملية الاتصال هذه تكون في المجتمع النامي جزءًا لا يتجزأ من العملية السياسية والاجتماعية فيه ، بمعنى آخر فإن ما تتضمنه هذه العملية من نشر للرسائل وتفاعلات مع الجمهور يجب أن يحظى بالقبول والموافقة من جانب السلطة السياسية، إلا أنه من المتوقع أن يمثل ظهور مهنيين قائمين على عملية الاتصال، وترسيخ مكانتهم، يمثل نقطة بدء هامة وأحد المعالم البارزة في مسيرة الحياد والموضوعية، وفى التطور نحو نظرة غير متحيزة - موضوعية تحليلية - للسياسة، ويستطيع هؤلاء المهنيون أن يؤثروا على جمهورهم، ويؤكدوا له أهمية وإمكانية قيام مؤسسات رئيسية في النظام السياسي، كتلك التي

تمثلها أجهزة الاتصال، تكون موضع ثقة واحترام هذا الجمهور، وتتمتع بالحياد والموضوعية وتستطيع من خلال أدائها المتميز أن تحدد معنى العملية السياسية، بل وأن تعطيها معناها ومغزاها الكامل.

ويرى سولا بول Sola Pool أن تطور وسائل الاتصال في المجتمع النامي يصادف بعض المشكلات، إذ يجب تحديد الدور الذي ستقوم به السلطة العامة والمؤسسات المحايدة أو المستقلة، وتحديد مدى الحرية - ومدى القيود - التي سوف يسمح بها، وإمكانيات التميز والاختلاف والمعارضة، أو التطابق والتماثل والنمطية داخل المجتمع، وتحديد المستوى الثقافي والإعلامي الذي سوف تتبناه أجهزة الاتصال وتلتزم به، ويرى أن الاتصال الجماهيري له وظيفته في عملية التنمية، لأنه ييسر للقيادة السياسية ممارسة مهامها، ويسهل قيام الأحزاب السياسية من خلال نشر عدد من الرسائل ذات الاهتمام الواسع ومناقشة البدائل الملائمة بشأن حلها عبر الدولة بكاملها، كما يسهم في توسيع إطار الجماعات المرجعية الملائمة، وتوحيد أنظمة الأسعار والقياس في الدولة وغيرها من طرق غير سياسية.

ويؤكد إدوارد شلز أهمية أجهزة الاتصال الجماهيري وضرورة حيادها واستقلالها - أو ما يسميه مؤسسات مستقلة للرأي العام - على أن يواكب ذلك نظام تعليمي حديث ومؤسسات تشريعية وإدارية فعالة، وقيام سلطة تحظى بالشرعية، وتحقق الانتماء القومي. بينما يشكك شلز في دور عمليات التعبئة الجماهيرية، وفى أهمية القيادة الكاريزمية أو الديماجوجية، ويرى أن هذه العناصر ترتبط بالأجل القصير فحسب، وأن الشرط الأول والحقيقي لبناء مجتمع ونظام حديث هو خلق مؤسسات فعالة للرأي العام والتعليم والإدارة والتشريع.

أما دانيل ليرنر فينظر إلى وسائل الاتصال باعتبارها أداة لتوسيع أفق ونظرة وتوقعات ومطامح الأفراد في المجتمع النامي. فالفرد في هذه المجتمعات لا يميل إلى أن يعيش في منطقة أخرى بعيدة عن موطنه الأصلي، وقد يفضل الموت عن أن يذهب إلى مكان آخر، ولا يطمح في أكثر من قطعة أرض صغيرة ومنزل أو مهنة أو حرفة توفر له الرزق.

مع مجيء الاتصال الجماهيري تظهر الحاجات والآراء والمطامح الجديدة، وتتسع دائرة الاتصال بالمناطق الأخرى وبالحضر، وتقوى عملية الحراك وتتسع، وتظهر "الشخصية الديناميكية" أو غير الجامدة، وأدوار أخرى، بل وتقبل تقمص مثل هذه الأدوار، ويبدأ الأفراد في تعليل الظواهر من خلال النظرة العقلانية السببية، وينظرون إلى مستقبلهم على أنه من الممكن أن يتحكموا فيه بأنفسهم، وليس مكتوبًا عليهم بصورة مقدسة لا فكاك منها، ويقبلون على المشاركة والاهتمام بمسائل تتسع مجالاتها وأهميتها، ويتزودون بقدرات أوسع على التكيف والاستيعاب والتنقل وتغيير المهن والأدوار ومناطق الإقامة والعمل.

إن وسائل الاتصال الجماهيري تنقل الفرد إلى عالم أوسع وأرحب وأكثر اختلافًا عما اعتاد عليه، وتوفر له إمكانيات ومعلومات وأنباء وبدائل وآراء وقدر من التسلية والإعلانات والفقرات المختلفة بما يؤثر في تكوينه وآرائه وسلوكه، وفى علاقاته مع الآخرين، وفى اتخاذه لقراراته، وفى استجابته للمثيرات التي تحفل بها البيئة المحيطة به. وعلى مستوى

المجتمع ككل تمثل وسائل الاتصال الجماهيري أداة لحملات يتم تنظيمها والتخطيط لها للوصول إلى أقصى الأهداف الممكنة، مع تحمل أقل تكلفة ممكنة.

ضرورة تجنب مخاطر الاتصال

يمثل التليفزيون أهمية خاصة في دراسة الآثار السلبية والمخاطر التي تهدد المجتمع المعاصر نتيجة عمليات الاتصال الجماهيري، فالتليفزيون - وأيضاً بعض مواقع الإنترنت - الذي اتجه أكثر فأكثر إلى جذب المزيد من جماهير المشاهدين أخذ يعتمد على برامج العنف والجريمة والجنس، مما كان له تأثير على نفوس المشاهدين، وخصوصًا من الشباب والأطفال.

وتتأكد التأثيرات السلبية للتليفزيون، ووسائل الاتصال عمومًا، إذا صادفها عوامل أخرى في المجتمع، كاتساع المدن والازدحام السكاني، وتدهور مستويات الخدمات في التعليم والإسكان والمواصلات ، وانخفاض مستويات المعيشة، كما أن استعدادات الفرد لها دورها أيضًا، وخلفياته الاجتماعية

والاقتصادية والتعليمية، وانتمائه إلى عمر أو جنس معين، وخبراته السابقة، وأيضًا توقعات وآمال واتجاهات الفرد.

كما أن التأثير السلبي لما يقدمه التليفزيون والشبكة العنكبوتية يعتمد على المضامين والبرنامج المقدمة لجمهور المستقبلين أو المتصفحين، والوقت الذي يقضيه المشاهد أمامها، وتراكم المشاهدة أو المتابعة لفترات زمنية طويلة، والمناخ العائلي العام المحيط بالفرد.

وقد أكدت دراسات عديدة أن معظم البرامج والمضامين التي تعرض على الأطفال في العالم تدور حول موضوعات كالعنف و الجريمة ومواقف الابتزاز والانتقام والكراهية، وكثيرًا ما يقوم البطل بتحريك الرغبة في نفوس المشاهدين، وتصوير الحياة بإيقاعها السريع الهائل، وعادة ما يكون الهدف التجاري هو المحرك الرئيسي وراء هذه البرامج دون اعتبار لقيم المجتمع وتماسكه وسلامته.

تفترض مثل هذه البحوث أن مشاهدة أو متابعة رسائل ومضامين وبرامج العنف تقلل من سيطرة الفرد على تعبيراته العدوانية الصريحة، وتثير البرامج عدوانية الفرد، وتيسر له ذلك، فيشارك في أعمال عدوانية، تحت تأثير تقمصه لشخصية ترتبط بالعنف في البرامج التليفزيونية أو علي الانترنت، مما يستثير القوى العدوانية بداخله ، الأمر الذي يفرض ضرورة الحذر من مخاطر الاتصال وإحاطته بنوع من الرعاية والتوجيه، خصوصا تلك المتاحة للأجيال الناشئة، الأمر الذي يلقي بالمسئولية ليس فقط علي الأسرة والوالدين ، بل ومنتجي وناشري تلك المضامين والبرامج.

الدور المزدوج لوظائف الأتصال

إننا نعيش في عصر المعلومات، لذلك فإن فيض المعلومات لا ينقطع، وما ينقص الصحفي هو خلق ذلك الجمهور المهتم والمتابع والمتلهف لتلقي الأخبار والمعلومات. وفي هذا يؤدي دورًا هامًا في تعزيز الديمقراطية، إنه ييسر خلق ذلك "المواطن العليم بالأمور"، والأكثر اهتمامًا ووعيًا.

الصحفي في أدائه وانتقائه للمعلومات التي تنشر كأخبار، يسهم في بناء الحقيقة وتوضيحها والكشف عنها، مهما كانت ذلك قاسيًا، فالصراعات والكوارث وعدم الكفاءة والفضائح وقائع قائمة، والكشف عنها يصبح بمثابة الخطوة الأولى نحو التشخيص والتدقيق، لتيسر بعد ذلك متابعة بناء الحقائق ومعالجتها.

أصبح علي الصحفي بمعني رجل الاتصال أن يتولي الريادة في سبيل الإصلاح والتحول، بعد أن لعب دور المحفز أو المنشط للجمهور، لخلق حوار وطني تجذب إليه قطاعات الجمهور المختلفة، والمجتمع بكامله، وتفرض حوارًا ونقاشًا عامًا لا غنى عنه للفهم الحقيقي لكل مجتمع في طريقه للإصلاح والديمقراطية.

من زاوية الإصلاح والتنمية السياسية يصبح على الصحافة ـ المطبوعة والإلكترونية ـ القيام بمهمة مزدوجة في آن معًا، لتأهيل المواطن معرفيًا لنموذج الحياة الديمقراطية:

فأولاً: عليها إعلام الجمهور ونقل الأخبار إليه، وهنا يتحلى دور الصحفي كصانع للخبر، ومقدم للتقارير والتحليل والتحقيق، من خلال انتقاء مهني وموضوعي للأحداث التي تنشر كأخبار.

وثانيًا: تحفيز الجمهور في اتجاه الحوار الديمقراطي، فيتيح الصحفي للجمهور أن يشاركه مباشرة في عمله.

معنى هذه المهمة المزدوجة ضرورة أن يتحرر رجل الاتصال أو الصحفي من فهم دوره باعتباره مجرد نقل الأخبار، أو حتى مجرد وسيط بين السلطة السياسية والجمهور، بعبارة أخرى على الصحفي أن يتخلى عن مجرد دور "الخبير" الذي ينقل فقط الخبر، إلى دور "المواطن" باعتباره جزء من المجتمع المدني، تهمه بالدرجة الأولى قضايا وتطورات يشهدها المسرح السياسي في بلده، وما تفرضه من حوار بين مواطن ومواطن، ومن اهتمام ونقاش هام، تمهيدًا لبناء اتفاق وطني عام، وهذا

يحتاج من الصحفي إلى فهم أعمق للحياة العامة، ومتطلبات التحول الديمقراطي، وموقعه ودوره في المستقبل. وهكذا تتحول البرامج الإخبارية من مجرد سرد للأحداث والأنباء إلى حوارات مع المواطنين، وحفز قطاعات أوسع للمشاركة في مداولات ديمقراطية ونقاش عام موسع، هكذا تتضح ملامح التحول في دور الصحافة، وعملية الاتصال ، من مجرد "مركبات محايدة لنقل المعلومات" إلي تلبية متطلبات حياة ديمقراطية محورها النقاش والحوار الديمقراطي أو في الإصلاح والتحول من خلال إعادة اكتشاف الجمهور ومنحه الولاء والثقة.

والمعروف أن الصحف والشبكات المختلفة في النظم الديمقراطية أضحت تنشر أنباء ونتائج استطلاعات الرأي، وهو ما يمنحها أهمية وقوة إضافية، خصوصًا وقت الانتخابات، وتقدم مثل هذه الاستطلاعات معلومات ومادة أولية للأخبار يمكن تحليلها بدرجة من الدقة والثراء، ولأن الجمهور يتقبل نتائج الاستطلاعات، فإن نشر هذه النتائج يمثل أهمية خاصة، ومصدر قوة لوسائل الاتصال الجماهيري، وهذا كله يضفي الأهمية مرة أخرى على الدور الذي يلعبه الجمهور، وإن كان البعض يطالب

من زاوية الإصلاح والتنمية السياسية يصبح على الصحافة ـ المطبوعة والإلكترونية ـ القيام بمهمة مزدوجة في آن معًا، لتأهيل المواطن معرفيًا لنموذج الحياة الديمقراطية:

فأولاً: عليها إعلام الجمهور ونقل الأخبار إليه، وهنا يتحلى دور الصحفي كصانع للخبر، ومقدم للتقارير والتحليل والتحقيق، من خلال انتقاء مهني وموضوعي للأحداث التي تنشر كأخبار.

وثانيًا: تحفيز الجمهور في اتجاه الحوار الديمقراطي، فيتيح الصحفي للجمهور أن يشاركه مباشرة في عمله.

معنى هذه المهمة المزدوجة ضرورة أن يتحرر رجل الاتصال أو الصحفي من فهم دوره باعتباره مجرد نقل الأخبار، أو حتى مجرد وسيط بين السلطة السياسية والجمهور، بعبارة أخرى على الصحفي أن يتخلى عن مجرد دور "الخبير" الذي ينقل فقط الخبر، إلى دور "المواطن" باعتباره جزء من المجتمع المدني، تهمه بالدرجة الأولى قضايا وتطورات يشهدها المسرح السياسي في بلده، وما تفرضه من حوار بين مواطن ومواطن، ومن اهتمام ونقاش هام، تمهيدًا لبناء اتفاق وطني عام، وهذا

يحتاج من الصحفي إلى فهم أعمق للحياة العامة، ومتطلبات التحول الديمقراطي، وموقعه ودوره في المستقبل. وهكذا تتحول البرامج الإخبارية من مجرد سرد للأحداث والأنباء إلى حوارات مع المواطنين، وحفز قطاعات أوسع للمشاركة في مداولات ديمقراطية ونقاش عام موسع، هكذا تتضح ملامح التحول في دور الصحافة، وعملية الاتصال ، من مجرد "مركبات محايدة لنقل المعلومات" إلي تلبية متطلبات حياة ديمقراطية محورها النقاش والحوار الديمقراطي أو في الإصلاح والتحول من خلال إعادة اكتشاف الجمهور ومنحه الولاء والثقة.

والمعروف أن الصحف والشبكات المختلفة في النظم الديمقراطية أضحت تنشر أنباء ونتائج استطلاعات الرأي، وهو ما يمنحها أهمية وقوة إضافية، خصوصًا وقت الانتخابات، وتقدم مثل هذه الاستطلاعات معلومات ومادة أولية للأخبار يمكن تحليلها بدرجة من الدقة والثراء، ولأن الجمهور يتقبل نتائج الاستطلاعات، فإن نشر هذه النتائج يمثل أهمية خاصة، ومصدر قوة لوسائل الاتصال الجماهيري، وهذا كله يضفي الأهمية مرة أخرى على الدور الذي يلعبه الجمهور، وإن كان البعض يطالب

بأن يخضع استطلاع رأي الجمهور لقواعد وطابع مؤسسي نتيجة شكاوي بعض السياسيين الذين يتابعون استطلاعات الرأي[1].

دور الاتصال في خلق رأي عام وطني

تزداد احتمالات بناء الرأي العام النوعي الجيد، والملائم لأهداف وغايات التنمية السياسية، عند وجود ثلاث عوامل هي:

1- الوعي وتعزيز المعلومات، وعادة ما يرتبط ذلك بالحاجة على تبني رأي أو تغيير رأي قائم، وكثيرًا ما تثير الأحداث والتطورات الوعي وترسخه خاصة عندما تمس المصالح والقيم والمعتقدات.

2- تبلور الحاجة إلى التغيير، وهي عملية نفسية مترتبة على تزايد الوعي وتوافر المعلومات، وقد لا يكون للاتصال الجماهيري دور كبير في ذلك.

3- التصميم والتأكيد على ضرورة تبني رأي جديد أو تغيير الرأي القائم، بناءً على التفكير والمنطق، والعاطفة والأخلاق

---

(1) خصوصًا مع انتشار هذه الاستطلاعات باستخدام شبكة الإنترنت مؤخرًا.

والتصميم يرتبط بإزالة الغشاوة عن رؤية الفرد والتغلب على تردده.

يشكل "الرأي العام ذات النوعية المتميزة" أهمية أساسية لدى بعض الباحثين، ومثل هذا الرأي العام يقوم على أساس من العقل والمنطق، والتفكير المتعمق وإدراك العواقب المترتبة عليه.

الرأي العام المبني على التفكير المتعمق والمتأني بمعنى المنطق والعقل، جنبًا إلى جنب مع العاطفة والقيم والأخلاق،يتطلب تفعيل وتعزيز دور الاتصال والرقي به مهنيا وسياسيا ،ليمكن بناء مثل هذا الرأي العام الوطني، والذي يخضع تحققه لثلاث شروط أو معايير أساسية: أولها: الثبات، وثانيها: التماسك، وثالثها: إدراك أصحاب هذا الرأي أو القرار العام لعواقبه واعترافه بها، وبإمكانية قبولها وتحمل تبعاتها، وتترابط هذه المعايير أو الشروط معًا من خلال أهمية رئيسية يلعبها التفكير والمنطق مع العاطفة والعقل، والمسئولية بمعنى تقبل تحمل نتائج تبني مثل هذه الآراء.

تعتمد نوعية الرأي العام إذن – والتي تعد أحد عناصر البنية الأساسية لعملية التنمية السياسية - تعتمد على وجود مواطن أولاً عليم أو على دراية بالمعلومات، وثانيًا مهتم ومشارك على أساس من العقلانية والتفكير المتمعن، وثالثًا مسئول ومدرك لعواقب تبنى رأي معين، أي أن نوعية الرأي العام تعتمد على:

1- المعلومات، لكن المعلومات ليست الشرط الوحيد، بل وهناك من يقلل من أهميتها، ويعتبر أن أهمية المعلومات في نوعية الرأي العام كانت موضع مبالغة لا تستحقها.

2- التفكير وتقصي العديد من أبعاد الموضوع وعوامله المتعددة، والمقارنة بين البدائل المتاحة للاختيار، إحداها ليصبح رأيًا عامًا، على خلفية المزيد من العقلانية والمنطق، مع العاطفة والأخلاق، ولا يتوافر ذلك دون مشاركة حقيقية ودوافع نحو المزيد من الانخراط في الموقف، ودرجة من الوعي والقدرة على التدقيق والتمحيص.

3- تأكيد الجوانب المعيارية - بمعنى القيم والأخلاقيات والمعاني الإنسانية - التي يتضمنها موقف الرأي العام، وليس فقط جانب الوقائع والمعلومات والبيانات.

ومن الجدير بالاهتمام أن المعلومات وحدها لم تعد كافية كبناء رأي عام نوعي متميز، والمعروف أن "نموذج" المواطن المتأثر بالمعلومات" يعتمد صيغة التعليم العام ذات الاتجاه الواحد من الخبير أو ناقل المعلومات (الذي يقوم بالإرسال) إلى المستقبل الذي يفترض أن يمتص المعلومات ويستوعبها، وبناءً عليها يكون رأيًا. هذا النموذج لا يقدم الكثير لبناء تلك النوعية من الرأي العام الوطني، فالرأي الجيد يتطلب مشاركة واهتمام ودور فاعل للجمهور، ووعي وتفكير وتمحيص للأحداث والقضايا والأفكار التي يتضمنها موقف الرأي العام، وإلى جانب المعلومات والمشاركة والتفكير أو المنطق هناك القيم والجوانب العاطفية والأخلاقية، وأيضًا المسئولية وتقبل ما يستتبعه تبنى الرأي من عواقب ونتائج.

عصر جديد ووظائف جديدة.

أصبحت التكنولوجيا الجديدة تفعل كل ما فعلته التكنولوجيا السابقة بطريقة أفضل، وأكثر سرعة وأقل تكلفة، ومع الإنترنت تغير كل شيء وألغي تفرد كل وسيلة أو تقنية من التقنيات السابقة. يقول أحد الباحثين: لقد أضيفت قنوات الأخبار إلى قنوات ووسائل الاتصال القائمة، وأصبحت الأخبار نوعًا من الترفيه في طريقة تقديمها، لكن الأخبار لم تعد سياسية فقد، بل أصبحت أخبارًا للسياسة والرياضة والاقتصاد والنجوم والاختراعات والفنون .. وزودت المنازل على نحو متزايد بالحاسبات المزودة باتصالات عبر الإنترنت، وتحولت هذه المنازل إلى صالات عرض للأحداث ولم يعد ضروريًا الذهاب إلى موقع الحدث لأن الحدث يأتي إلى المنزل، وبفضل التقنيات الجديدة تطورت الصورة بقوة، بحيث لم تعد مجرد محاكاة

للواقع، فأصبحت الصورة تسبق الواقع وتمهد له، إنها أضحت الأساس، وأضحى الواقع نسخة باهتة من الصورة[1].

أصبحت الرسائل السمعية والمرئية والمطبوعة قابلة للحفظ والتبادل، والصحف والمكتبات الإلكترونية، يمكن طباعتها بسرعة فائقة، وفقرات وبرامج تقدمها الشبكات يمكن تسجيلها أو تبادلها والتحكم فيها من خلال الشبكة والحاسبات، وأصبحت التكنولوجيا الجديدة بمثابة مرحلة جديدة لدور الاتصال كما أتاحت دمج وسائل وقنوات كالحاسبات والتلفون المحمول وشبكات الإذاعة المسموعة والمرئية والانترنت.

مع التدفق الهائل في الاتصالات الرقمية، والانخفاض الشديد في التكلفة، فإن هناك إمكانيات واعدة لتزايد تدفق الأخبار السياسية والفقرات الترفيهية والرسائل المختلفة، ومهما كانت

---

(1) راجع تفضيلات عن ذلك في: د. شاكر عبد الحميد، *عصر الصورة ــ السلبيات والإيجابيات* (الكويت: عالم المعرفة يصدرها المجلس الوطني للثقافة 2005) ص 359 ــ 370.

إجراءات النظم الرقابية للحد من تداول هذه الرسائل، ومهما اتخذت من أساليب القمع والمنع، تفقد هذه النظم، وغيرها من نظم أكثر ديمقراطية وتطورًا، قدرتها على رصد اتصالات المواطنين الداخلية والرقمية.

وتثير التكنولوجيا الجديدة قضايا متشعبة في مقدمتها دور الصحفي، واتساع مفهوم من هو الصحفي ليشمل مدوني الانترنت، وتأمين استقلال وحرية وأمانة الصحفيين، أو ما يعرف بالاستقامة الصحفية، والشكل الذي تظهر به الأخبار على الشبكة - والذي يتنوع ويختلف من صحيفة الكترونية إلى أخرى - والإعلانات ومصادر التمويل - على أن أهم القضايا ترجع إلى احتمالات التصادم بينه وبين التكنولوجيا الجديدة وقيم الصحافة المستقلة.

الوظيفة التنموية للاتصال الرقمي

بفضل هذه التكنولوجيا الجديدة، المرتبطة أساسًا بالإنترنت والحواسب والأقمار الصناعية، أمكن السير قدمًا في

اتجاه تعزيز الوظائف التنموية للاتصال دون اعتبار لقيود أو حدود الزمان، أو المكان، أو غيرها من ظروف وشروط مادية.

من شأن هذه التكنولوجيا الحديثة للاتصالات، وبالتحديد في مجالات الإنترنت والكمبيوتر والفضائيات، تحقيق العديد من الأهداف، لعل من أهمها:

1-زيادة سرعة وتوسيع انتشار المعلومات المقدمة، ومن شأن ذلك زيادة أعداد أفراد المجتمع الملمين بالمزيد من المعلومات.

2-جعل المشاركة السياسية أكثر سهولة، وتقليل حجم وتأثير العقبات التي تحول دون سهولة وتيسير المشاركة، ابتداء من اللامبالاة أو العجز أو الخجل أو ضيق الوقت والموارد المخصصة للمشاركة كالانتقالات والوقوف في صفوف طويلة وغيرها.

3-إمكانية خلق طرق ومسارات جديدة لتنظيم، وبناء جماعات جديدة حول هدف أو غرض محدد للمناقشات، يصبح الاتصال بينها مفتوحًا، ومتاحًا بأقل جهد أو تكلفة، وبلا تدخل أو رقابة خارجية قد تهدد استقلال أو حرية الجماعة.

4ـتسمح الإنترنت بتكون تلك الجماعات عبر الحدود والمسافات، وبعيدًا عن تدخل الدولة أو السلطة.

5ـمع تزايد هذا النوع من الاتصالات الحديثة، فإن النظم السياسية ذات الطابع الهيراركي أو الرأسي ستجد نفسها تتجه نحو الطابع الأفقي.

6ـمن المتوقع على نحو متزايد أن يتعزز أهمية صوت المواطنين، وفاعلية تأثيرهم عند بناء أجندة الحكومات وتحديد أولوياتها.

7ـتعزيز الطابع المباشر للمعلومات التي يتلقاها المواطنين، فيتجنب هؤلاء، أكثر فأكثر، التشويه الذي يقوم به الوسطاء على اختلافهم، من صحفيين ونواب وأحزاب سياسية.

8ـمن المتوقع أن ييسر ذلك المزيد من قدرة الحكومة، والعملية السياسية، على أن تستجيب مباشرة لتفضيلات واهتمامات المواطنين.

9ـالتغلب على مشكلات الديمقراطية النيابية، بتقديم حلول لمشكلات من قبيل اتساع إقليم الدولة، وصعوبة الوصول إلى المناطق النائية للدوائر الانتخابية وقواعدها.

ثمة أمثلة هامة ومتنوعة تقدمها تطبيقات تكنولوجيا الاتصالات الحديثة والمعلومات، واستخدامات الحواسب الآلية، تشهدها أعداد متزايدة من دول العالم، المتقدمة خصوصًا، لتصبح ذات وظيفة أساسية يمكن تلخيصها في ثلاث أبعاد:

أولاً: أنها توفر لكل من المواطنين والنواب البرلمانيين ورجال الإدارة والحكم على المستويات القومية والمحلية حجمًا ومستويات من التنظيم والجودة والدقة في المعلومات تفوق ما كان متاحًا من قبل.

ثانيًا: أن الطبيعة التفاعلية لهذا النوع من الاتصالات الحديثة تخلق بالفعل حكومة تمثيلية تتسم بالانفتاح والاستجابية أمام المطالب والتفضيلات الشعبية،

ثالثًا: توفر إمكانية واسعة للمناقشة، وتبادل الآراء، وتمحيص البدائل والحجج، وتوفر بذلك أساسًا راسخًا لتكوين رأي عام قائم على مناقشات حرة ومستفيضة، ولبناء ديمقراطية تعددية. فالمناقشة الحرة، بين المواطنين والأفراد والجماعات، داخل الجماعات والمؤسسات، وفيما بينها، هذه المناقشة تحققها وتعززها أدوات كالبريد الإلكتروني، وقوائم المناقشة، وعقد

المؤتمرات واللقاءات المشتركة عبر الإنترنت، أو عبر ربط دوائر تليفونية أو تليفزيونية تتجاوز المسافات الواسعة والحدود السياسية والجغرافية.

أصبحت هذه التقنيات الجديدة توفر للمواطنين المعلومات، من خلال نظم للمعلومات تتسم بالحرية وعدم التحيز، وأهم هذه الأدوات والنظم جميعًا الإنترنت. إن ثمة جيل جديد أخذ يبزغ في كثير من المجتمعات البشرية اليوم، يحمل إمكانيات للوصول إلى معلومات غير مسبوقة في تاريخ البشرية، ويحمل آفاقًا لفهم أعمق وتبادل أوسع للحجج والبدائل من خلال مسارات وجماعات اجتماعية وثقافية تشكلها أدوات الاتصال الحديثة على نحو فريد، وغير مألوف من قبل.

لقد أحدثت الإنترنت تغيرات ثورية عارمة، على حد تعبير أحد الكتاب، في مجال تدفق المعلومات وحرية انتقالها وحجم تداولها، فأحدثت بذلك توقعات شاملة بإعادة صياغة العلاقة بين ما هو عام وما هو خاص، ومن ثم التأثير بشكل لا يمكن تجنبه على عالم المصالح والاهتمامات العامة.

الخاتمة

نعيش اليوم "عصر الاتصال" والذي يتميز بتطور هائل في التكنولوجيا، وبتفجر المعلومات وتدفقها بصورة - وفى حجم وسرعة - لم يعرفها الجنس البشرى من قبل.

فالثورة العلمية التكنولوجية التي دخلتها الحضارة الإنسانية المعاصرة تنطوي على إمكانيات غير محدودة لتعاظم وتوالد المعرفة والمعلومات، والإسراع في نشرها وتداولها، وفى طرح تأثيراتها، في صورة ملحة، وقد لا يجد الفرد مهربًا أو ملاذاً ليحمى ذاته والإنترنت. التأثيرات المتتالية والمتعاظمة.من الصعوبة بمكان تصور إنسان في القرن الحادي والعشرين يعيش في عالمنا دون أن يتأثر بدرجة أو بأخرى، بالاتصال الجماهيري، إننا نتاج مجتمع أصبح عرضة لتيارات مستمرة من الرسائل والتأثيرات التي مصدرها الصحافة والتليفزيون والمجلات والكتب والأفلام والإنترنت. وفى الحقيقة فإن وسائل

الاتصال الجماهيري هذه أصبحت بصورة متزايدة جزء من حياتنا اليومية.

لقد أصبح الاتصال جزء لا يتجزأ من الحياة المعاصرة ، ومع تطور تقنياته واتساع تأثيراتها في حياة البشر ، بشكل غير مسبوق ، تتسع وظائف وأهمية تأثيراته في عملية التنمية السياسية وفي تحقيق ما تفرضه تلك العملية من أهداف وغايات ، في مختلف النظم السياسية ، ومهما اختلفت وتباينت فلسفتها السياسية والاجتماعية.

تتنوع الرؤى في دراسة وظائف الاتصال، لكن يجمعها اتفاق عام حول: عمق واتساع تلك الوظائف، والأهمية البالغة لأبعاد الثقافة والوعي، وبناء جيل علي مستوي من الإدراك والفهم والتعقيد، وضرورة تفادي سلبيات ومخاطر الاتصال، خصوصا بالنسبة لصغار السن من الأجيال الجديدة ، في عصر جديد هو عصر الاتصالات الرقمية والانترنت، وتتعزز الوظائف التنموية للاتصال في ضوء تزايد دور الصحافة والتلفزيون والانترنت، وهي وظائف تؤثر مباشرة علي الهوية

الوطنية، ونسيج الثقافة السياسية الوطنية، وعلي بناء رأي عام وطني يتميز بحد أدني من العقلانية واتساع الأفق، وعلي مختلف المؤسسات والأبنية والممارسات السياسية: صورتها وأدائها وموقعها، وعلي التكامل السياسي والوحدة الوطنية ودرجة التماسك والانسجام بين عناصر المجتمع المختلفة.

شروط النشر والاشتراك في السلسلة

تتضمن الشروط:

طبيعة الموضوع: قضايا ومفاهيم ذات الصلة بالتنمية السياسية.

1) الحجم: في حدود لا تقل عن 30 صفحة ولا تزيد عن 100 صفحة.

2) تخضع البحوث المقدمة للتحكيم، وفق إجراءات يحددها المعهد ويلتزم بها مقدم البحث.

يمنح المعهد مكافأة مالية للكاتب بعد إجرائه التعديلات وتنفيذ الملاحظات التي يبديها المعهد، أو التحكيم على المسودة لكي تصبح صالحة للنشر.

صدر من سلسلة إصدارات التنمية السياسية

1) الثقافة السياسية.
الدكتور عبد الغفار رشاد القصبي.

2) المؤسسية وبناء المؤسسات.
الدكتور عبد الغفار رشاد القصبي.

3) المجتمع المدني
الدكتور عبد الغفار رشاد القصبي.

4) المنظمات الدفاعية "قضايا النهوض بالمرأة".
الدكتور عبد الغفار رشاد القصبي.

5) التعددية والتسامح.
الأستـــاذ عبد النبي سلمان أحمـد.

6) مفاهيم وآليات العمل النقابي.
الأستاذ محمد عبد الجليل المرباطي.

7) الحكـــم الرشيـــد.
الأستاذ حسن علي حسن إسماعيل.

8) آليات العمل والتشريع والرقابة في مجلسي الشورى والنواب.
الأستـــاذ يوســـف زينـــل.

9) الاتصال والتنمية السياسية.
الدكتور عبد الغفار رشاد القصبي.

10) التنمية السياسية من خلال مؤشرات الديمقراطية وحقوق الإنسان.
الدكتور عبد الغفار رشاد القصبي.

11) القيادة والتنمية السياسية.
الدكتور عبد الغفار رشاد القصبي.

12) المشاركة السياسية ودورها في التنمية السياسية.
الدكتور عبدالغفار رشاد القصبي.

قسيمة اشتراك في سلسلة

(إصدارات التنمية السياسية)

الاســـــــــــــم : .....

المؤسســـــــــــة : .....

الهاتـــــــــــف : .....

العنـــــــــــوان : .....

الرمز البريـــــدي : .....

البلـــــــــــد : .....

البريد الإلكترونـــــي : .....

بدء الاشتـــــــراك : (من العدد:..... إلى العدد: .....).

رسـوم الاشتراك

للأفـراد	: 12 ديناراً بحرينياً.	26.525 دولاراً أمريكياً.
للمؤسسات	: 24 ديناراً بحرينياً.	63.662 دولاراً أمريكياً.

- ❑ **للاشتراك من داخل المملكة يقبل الدفع النقدي، والشيكات، والحوالات النقدية.**
- ❑ **للاشتراك من خارج المملكة تقبل الحوالات المصرفية فقط شاملة المصاريف فقط.**

على أن تسدد القيمة بالدينار البحريني أو بالدولار الأمريكي بإسم معهد البحرين للتنمية السياسية.

حساب رقم (008700118807)- بنك البحرين الوطني – المنامة

نرجوا موافاتنا بنسخة من إيصال التحويل مرافقة لقسيمة الاشتراك إلى العنوان التالي:

معهد البحرين للتنمية السياسية

ص.ب. 38955 - الرفـاع – مملكة البحريـن

هاتف: 17650172-973+ فاكس: 17650134-973+

* تشمل رسوم الاشتراك الرسوم البريدية، وتغطي تكلفة اثنى عشر عدداً من تاريخ بدء الاشتراك.

معهد البحرين للتنمية السياسية
Bahrain Institute for Political Development
هاتف: 17650172 ، فاكس: 17650134 ، ص.ب.: 38955
www.bipd.org

رقم الناشر الدولي: ISBN -978-99958-54-07-2

رقم الإيداع : د.ع 2009/7434م